Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

○ همومه إنسانا :

وثمة أبيات تتصل بهموم الشاعر الإنسانية ، وصلاته الاجتماعية ، تجىء أيضًا فى مقطوعات قصيرة ، لا يمكن القطع بأنها كذلك فى الأصل ، لأننا نعتمد فيها على ابن الخطيب ، وهو يقحم ذوقه فيما يختار ، ولعله التقطها من قصائد مطولة لم تعجبه ، وعرفنا فيما سبق أنه وصم أبا البقاء شاعرا بأنه « غير مؤثر للجزالة » وكانت محببة إلى أديب غرناطة الكبير ، فأبو البقاء يشكو ، فى بيتين ، أخوة السوء لا نفع فيهم ، ويورد فى بيتين آخرين أنه عجم الزمان ، وعرف أهله ، فإذا هم يقلون عند الفزع ويكثرون عند الطمع ، كلامهم كثير ، وإقبالهم على الدراهم شديد :

ولقد عرفتُ الدهر حين خبرتُه ... وبلوتُ بالحاجاتِ أهلَ زمانى

فإذا الأخوة باللسان كثيرةٌ ... وإذا الدراهم مَيْلق الإنسان

أو يدعو ، فى بيتين ، إلى الصبر ، ويبشر به ، لأن الدهر يقبل ويدبر ولا يبقى على حال . ويحدثنا أخيرا عن الموت ، وقلة من الشعراء تتحدث عنه كظاهرة ، وانفعالا به ، لأنه تجربة لا تحدث إلا مرة واحدة فى العمر ، وحين تحدث يكون صاحبها عدمًا ، لا يحس ولا يشعر ، بالنسبة لنا على الأقل ، وأن تعيش التجربة تخيلًا ، أو ترتد إليها تصورا ، يتطلب الأمر حين تكون شابًا حالة نفسية معتمة ، أو واقعًا اقتصاديًا ضاغطا ، تصبح الحياة معه عبئا مضنيا تود التخلص منه ، أو أن تتقدم بك السن ، وتشرف على النهاية ، فأنت على بعد خطوات من الموت لا محالة ، وذلك ما نراه مع أبى البقاء ، فقد امتدت به الحياة ، وحين دنت ساعته تحدث عن الموت حديث الواعظ ، فما بَعْده عسير ، وطاعات المرء هى التى تحسب له ، ويدعو غيره لأن يعرض عن اللذات ، وأن يتعظوا ، ويتبعوا أوامر الله ، كل من على الدنيا رحل ومضى ، حتى الملوك ، ولم يحمل أى منهم غير كفنه ، ولم يخز من أرضها غير قبره :

الموتُ سر اللهِ فى خلقهْ ... وحكمةٌ دلّت على قهرِهْ

ما أصعب الموت وما بعده ... لو فكّر الإنسانُ فى أمره